

قراءة نقدية في التحليل اللغوي عند الوضعية المنطقية مدرسة أكسفورد (أنموذجا)

Critical reading of linguistic analysis in logical positivism Oxford School (model)

أحمد راقع¹

1 جامعة زيان عاشور – الجلفة (الجزائر) ahmed.ragua@univ-djelfa.dz

تاريخ القبول: 2025/05/03

تاريخ الإرسال: 2024/09/05

ملخص:

إن أهمية الوضعية المنطقية كتيار مؤثر في الفلسفة الغربية لم يمنعها أن تكون محل نقد شديد، وذلك بسبب ما تبنته من مبادئ، اعتبرها البعض متشددة. ولعل من أبرز منتقدي هذا التيار فلاسفة مدرسة أكسفورد، الذين عارضوا بوجه خاص الفكرة المركزية لدى الوضعيين المنطقيين، وهي اعتمادهم على التحليل اللغوي المبني على ثنائية الصدق أو الكذب في منطوقنا. فقد رأى فلاسفة أكسفورد أن هذا التحليل لا يُنصف ثراء اللغة الطبيعية، فجاءوا بنظرية جديدة أطلقوا عليها "نظرية أفعال الكلام"، معتبرين إياها رداً على محدودية التصور المنطقي للغة عند الوضعيين. وتهدف هذه النظرية إلى بيان أن كثيراً من أقوالنا لا تخضع بالضرورة للحكم بالصدق أو الكذب، بل تؤدي وظائف متعددة في التواصل الإنساني، كالوعد، والأمر، وغيرها من أفعال الكلام التي تتجاوز التصنيف الثنائي المذكور، فما هو التحليل اللغوي عند الوضعية المنطقية؟ وما ماهية نظرية أفعال الكلام عند فلاسفة أكسفورد؟
كلمات مفتاحية: الوضعية المنطقية؛ التحليل اللغوي؛ الصدق والكذب؛ أفعال الكلام؛ فلاسفة أكسفورد.

Abstract

The importance of logical positivism as an influential movement in Western philosophy did not prevent it from being subject to severe criticism, due to the principles it adopted, which some considered extremist. Perhaps the most prominent critics of this movement were the Oxford School philosophers, who particularly opposed the central idea of logical positivism: its reliance on linguistic analysis based on the binary of truth or falsity in our speech. The Oxford philosophers believed that this analysis did not do justice to the richness of natural language. They therefore developed a new theory, which they called "speech act theory," considering it a response to the limited logical conception of language held by the positivists. This theory aims to demonstrate that many of our utterances are not necessarily subject to judgments of truth or falsity, but rather perform multiple functions in human communication, such as promises, commands, and other speech acts that transcend the aforementioned binary classification. What is linguistic analysis according to logical positivism? And what is the essence of speech act theory according to the Oxford philosophers?

Keywords: logical positivism; philosophers of Oxford; meaning analysis; true-fals principle, speech act.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

لقد اعتقد الوضعيون المنطقيون أن صياغة الأسئلة الفلسفية في اللغة الطبيعية أدت إلى خلط كبير لا أمل في التخلص منه وذلك بسبب غموضها والتباس سياقها، وقد أدرك هؤلاء الفلاسفة أمثال كارناب أن مهمتهم هي بناء لغة اصطناعية يمكن من خلالها تجنب عيوب اللغة العادية، وكان أملهم أن تفعل اللغة المثالية ((الاصطناعية)) في الفلسفة ما فعلته اللغة الرمزية في الرياضيات والمنطق، ورأوا في التحليل اللغوي حجر الزاوية لإثبات فساد هذه اللغة – على الأقل في الفلسفة – إن لم تكن اللغة العادية كلها مليئة بالعيوب والمغالطات وهنا نتساءل: ما المقصود بالتحليل أصلاً؟ ما ماهيته عند الوضعيين المنطقيين، وهل خلا من العيوب خُلُو تاماً؟ ألم يُثْبِت تحليل التحليل وجود نقائص ونقائص وقع فيها التحليل اللغوي؟ وهنا نقصد كيف نقد فلاسفة أكسفورد تحليل الوضعيين للغة؟ وما هو البديل الذي جاؤوا به؟

2- ماهية التحليل:

إنَّ لفظ التحليل analyse من اللفظ اليوناني analisis ومعناه تقسيم الشيء إلى أجزائه من عناصر، أو صفات، أو خصائص، أو عزل بعضها عن البعض ثم دراستها واحداً واحداً لمعرفة العلاقة القائمة بينها وبين غيرها وينقسم التحليل إلى قسمين هما: التحليل المادي (الطبيعي) والتحليل العقلي (المنطقي) (Boraquin, et al., 2005, p. 19).

وحسب لالاند لفظ analyse هو تفكيك كُلِّ إلى أجزائه، إما مادياً كالتحليل الكيميائي وإما فكرياً؛ فكل تعريف هو تحليل مصطلح. (أندريه، 2001، صفحة 64)، كما يعني التحليل البحث عن العناصر الأساسية التي تُؤلَّفُ موضوع البحث والتي ترجع إليه جميع العناصر الأخرى الموجودة أو القائمة في الموضوع (خليل، 1971، صفحة 80). وهذا معناه تجزئة العناصر المكوِّنة للموضوع إلى أجزائه وتقسيمه إلى عدة وحدات لغرض معرفة وحداته الأساسية المكوِّنة له، حتى نتمكن من إدراكه بعد ذلك إدراكاً واضحاً، وبالرغم من أن التحليل ينقلنا من المجهول إلى المعلوم من خلال معرفة الخواص لكل حادثة من الحوادث إلا أن هذه المعرفة العقلية في جوهرها تُعَدُّ مُجَرَّد توضيح لحقائق نعرفها من قبل فكل ما تقوم به – أي المعرفة العقلية- هو تفتيت الموضوع الذي نسعى للبحث فيه لِيَتَبَيَّنَ لنا العلاقة التي تربط أجزاء الموضوع المراد بحثه، فتتضح لنا الرؤية ويزول الغموض. (سالمه، 2008، صفحة 87) والتحليل الفلسفي هو مصطلح عام لأساليب معينة يستخدمها الفلاسفة بهدف اختبار وتحليل الموضوعات الفلسفية للتخلص مما يشوب التعبيرات اللغوية من لبس أو غموض أو خَلْط أو زَيْفٍ وقد تطور هذا المنهج التحليلي كامتداد للفلسفة

التحليلية التي نشأت مع بداية القرن العشرين ((خصوصا أعمال راسل ومور وحلقة فيينا وفيتجنشتاين)) (Boraquin, et al., 2005, p. 20)

وانطلاقا من الفكرة السابقة، يمكن القول بأن الوضعيين المنطقيين اهتموا اهتماما بالغا بالتحليل وجعلوه مبدأ تقوم عليه أفكارهم لارتباطه بالوظيفة الجديدة للفلسفة التي هي تحليل للعبارات وتوضيح للأفكار، وكذا لارتباطه باستبعاد الميتافيزيقا كمبدأ ثانٍ، أو هدف قامت عليه ولأجله الوضعية المنطقية لقد فقد فَهَمَ الوضعيون المنطقيون أن عبارات اللغة عموما - والميتافيزيقا خصوصا - عادة ما تكون عبارات مركبة، ومن ثم من الصعب الحكم عليها - على حالتها هذه- بالصدق أو بالكذب ولكي يتم إصدار حكم حولها، يجب أن تُرَدَّ إلى أبسط أنواع العبارات. (Baghrmian, p. 65) (Chapman, 2008, p. 22)

3- استبعاد الميتافيزيقا كنتيجة حتمية للتحليل عند الوضعيين المنطقيين:

لقد ربط كارناب وهو أشهر فلاسفة الوضعية المنطقية استبعاد الميتافيزيقا بتحليل اللغة تحليلًا منطقيًا، فالأحكام المدعاة في مجال الميتافيزيقا لا تحيل إلى شيء، وبذلك تم التوصل إلى الاستبعاد الجذري للميتافيزيقا الأمر الذي لم يكن ممكنا من وجهة النظر السابقة الراضية للميتافيزيقا. (وداد، الصفحات 77-78)

ويرى آير ألفرد جولس أن مهمة الفلسفة هي تحليل وتوضيح العبارات والألفاظ التي نستخدمها في لغتنا ونصوغ بواسطتها المشكلات الفلسفية وقضايا العلوم، وليست من مهمة الفلسفة إقامة الأنساق الفلسفية المتكاملة، كما يشير إلى ضرورة التمييز بين الفلسفة والميتافيزيقا، فالفلسفة ضرورية لتوضيح العبارات العلمية والعبارات العادية أما الميتافيزيقا فهي حكم على أشياء غير محسوسة، والأصل فيها أن تخرج عن دائرة المعارف الإنسانية. (منذر، صفحة 177) وعلى هذا الأساس فالتحليل المنطقي للغة يمثل حجر الزاوية لهم، فهو أساس فلسفتهم وإليه تترد جميع مبادئهم الأخرى وعلى رأسها استبعاد الميتافيزيقا.

لقد تجاوز الوضعيون المنطقيون بتركيزهم على التحليل المنطقي للغة الميتافيزيقا من دائرة المعرفة بصورة جذرية باعتبار أن قضاياها خالية من المعنى إلا أن النظر العقلي الفاحص للأسس التي يقوم عليها الطرح الوضعاني المنطقي الراض للميتافيزيقا يُبَيِّن أن هذه الأسس قابلة لأن تدحض بصورة منطقية، ذلك أن التحليل المنطقي الذي استخدم للتمييز بين العبارات التي تحمل معنى والتي لا معنى لها، لا يمكن أن يُثبت ذلك، لا في المجال الذي اختاروه وهو المجال الواقعي ولا في مجال المنطوق الميتافيزيقي، ذلك أن البحث في المستوى اللغوي مقطوع الصلة بالواقع، على اعتبار أن إمكانية التحقق المشروعة عندهم هي إمكانية المنطقية اللغوية فقط (الشريف، الصفحات 276-277)، ومن ثَمَّ فقولهم بأن القضايا تأخذ معناها من طريقة تحققها في الواقع هو قول مردود، طالما بقي بحثهم محصورا في المستوى اللغوي؛ فلا يعقل إذن، أن يكون مجال بحثنا

هو المستوى اللغوي المنطقي ونزعم أننا نتحدث عن الواقع، ولهذا فالوضعياني المنطقي يخالف اتجاهه إذ اعتقد أن صدق القضية محصور في إطار أنساق لغوية أو في إطار عالم اللغة وأهمل الواقع، وكأن العالم الحقيقي هو عالم الألفاظ، وأصبح العالم الواقعي هو عالم الوهم (الشريف، صفحة 277).

4- التحليل عند فلاسفة أكسفورد:

أما إذا تكلمنا بصيغة أعم، وتحدثنا عن اللغة العادية التي قال الوضعيون بفسادها فإننا نجد فلاسفة أكسفورد يعتقدون على خلاف ذلك تماما؛ فهم يرون اللغة العادية الطبيعية ملائمة تمام الملائمة للأغراض الفلسفية، وأن الضرر يكمن في الانحراف عنها، ورأوا أن جُلَّ مشكلات الفلسفة ناشئة عن سوء استعمال الفلاسفة لبعض الكلمات الهامة مثل: يعرف، يرى، حر، صادق، سبب، وبسبب انحراف الفلاسفة عن الاستعمالات العادية لهذه الكلمات وغيرها، وقع الفلاسفة في مغالطات وأخطاء لأسبيل إلى حلِّها، واعتقد فلاسفة اللغة العادية أنه من غير الضروري، ومن المتعذر كذلك الإفلات من اللغة العادية عن طريق اللجوء إلى لغات اصطناعية، وعلى هذا النحو رأوا أن مهمة الفلسفة هي توضيح المفاهيم العادية التي تثير مشكلات فلسفية وذلك من خلال فحص الطرق التي يستعمل بها المتكلم لغته العادية. (إسماعيل، 2012، الصفحات 36-37).

ولعبت المنهجية المنطقية للتيار الوضعي المنطقي والتصورات المتطرفة للغة دورا مباشرا في الدفع بفيلسوف اللغة العادية أوستين في أواسط القرن الماضي إلى تبني تصور مخالف للغة، تصور يخرج عن النماذج السائدة آنذاك. وقد كان المنعطف الفلسفي الذي سجّله فيتجنشتاين عند عدوله عن التصور الذري للغة الذي كان يصدق به في مرحلته الفكرية الأولى، كان سببا رئيسيا في إبراز أهمية اللغة العادية في تشكيل المعنى والدلالة، إذ عمل هذا الأخير على رد الاستعمال المنطقي للغة إلى رحابة وسعة الاستعمال العادي لها، مسجلا بذلك طفرة كبيرة في النقاش الدائر بين فلاسفة أكسفورد، حيث كان أوستين واحدا من بينهم، وقد انفرد بصياغة نظرية خاصة في تداولية اللغة العادية، عمادها أفعال الكلام التي تقوم على التفريق بين العبارات اللغوية إلى خبرية وأخرى إنشائية. (الحسين، 2016، صفحة 04)

4-1- أوستين ونظرية أفعال الكلام:

لقد جاء أوستين بنظرية أفعال الكلام ومثّلها في مرحلتها التأسيسية، ونظرية أفعال الكلام ترجمة للعبارة الإنجليزية speech act theory أو العبارة الفرنسية la théorie des actes de parole ولهذه النظرية ترجمات أخرى في اللغة العربية مثل: نظرية الحدث اللغوي والنظرية الإنجازية ونظرية الفعل الكلامي، وغيرها من الصيغ والعبارات وهي جزء من اللسانيات التداولية. وعموما

يتلخص فكر أوستين في نقطتين أساسيتين هما : رفض ثنائية الصدق أو الكذب، الإقرار بأن كل قول هو عبارة عن فعل أو عمل. (العيد، 2011، الصفحات 52-54)

لقد عارض أوستين الوضعيين المنطقيين—كما أشرنا آنفا- للذين كانوا يرون أن اللغة أداة رمزية لها مقابل في الوجود الخارجي ولا وظيفة لها إلا وصف هذا العالم الخارجي بطريقة إخبارية ثم يكون الحكم بعد ذلك على العبارة المستعملة بالصدق أو بالكذب حسب مطابقتها للواقع الخارجي منكرين العبارات غير الإخبارية فهي عندهم لا معنى لها، ومن ثم لا يُعتدُّ بها، وينكر أوستين فكرة أن العبارات الإخبارية هي وصف حال الوقائع وصفا يكون صادقا أو كاذبا، وسعى ذلك باسم المغالطة الوصفية، إذ توجد - حسب أوستين - عبارات تشبه في التركيب العبارات الوصفية ولكنها لا تصف شيئا في الواقع الخارجي ولا تحتل الصدق أو الكذب، فإذا رأيت أن توصي ببعض مالك إلى جمعية خيرية فقلت: «أوصي ببعض مالي إلى جمعية رعاية اليتيم» فهذه العبارة لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، ولا تحتل الصدق أو الكذب، فإنك إذا نطقت بها فإنك لا تلقي قولاً بل تنجز فعلاً فالقول هنا هو الفعل أو جزء منه، لأنك تنجز فعل التوصية بقولك : « أوصي » فالقول في هذه العبارة ليس مجرد كلام بل فعل كلام. (العيد، 2011، الصفحات 55-56)

وفي محاولة لدحض المغالطة الوصفية سعى أوستين للكشف عن التعارض القائم بين نوعين من المنطوقات: المنطوقات التقريرية، ونوع آخر يتشابه مع النوع الأول تشابها ظاهريا في البنية، غير أنه لا يقوم بالوظيفة التي يقوم بها هذا النوع، أي تقرير أو تصوير العالم الخارجي. ومع ذلك لا يمكن القول بأن هذه المنطوقات خالية من المعنى؛ وهذه بعض الأمثلة الأولية لهذه المنطوقات:

1. «أنا أقبل هذه المرأة لتكون لي زوجة شرعية»، كما يُتلفظ بهذه الكلمة "نعم" أثناء مراسم الزواج.

2. «أنا أُسَيِّ هذه السفينة باسم الملكة إليزابيث»، كما تُنطق هذه العبارة عادة حينما تكسر القارورة على هيكل الباخرة عند تدشينها.

3. «أنا أعطي وأورث ساعتِي لأخي»، كما يحصل عند قراءة الوصية.

4. «أنا أراهانك بستَ بنسات على أن السماء ستمطر غداً».

يرى أوستين أن المثال الأول يتم النطق به في مراسم الزواج، والثاني عند تسمية الأشياء، والثالث عندما يوصي الإنسان بشيء ما، بينما المثال الرابع يقال عند المراهنة؛ والواضح أن هذه الأمثلة ليست خالية من المعنى، بل لها معاني، إلا أنها مع ذلك:

أ- لا تصف أي شيء مطلقاً أو تقرره أو تثبته، وليست منطوقات صادقة أو كاذبة.

ب- يعتبر النطق بالجملة أداءً لفعل أو جزء من أدائه، كما أنه لا يوصف على أنه قول لشيء

ما. (إسماعيل عبد الحق، 1993، الصفحات 137-138)

وفي هذا الإطار يُعبّر أوستين تعليقا على هذه الأمثلة السابقة؛ أنه من خلالها يتضح كيف أن التلفظ بالعبارة الإنشائية في ظروف مخصوصة إنما هو وصف لما يجب علينا إنجازه، فنحن مثلا لا نسعى إلى وصف حالنا عندما نقوم بإنجاز فعل كلامي ((فعل الزواج، إطلاق التسمية، ...)) بل إننا نتلفظ فقط بما يجب علينا القيام به وإنجازه من سلوكات وطقوس فعلية عندما نتكلم. يقول أوستين: « وواضح من هذه الأمثلة أن التلفظ بالجملة "بطبيعة الحال في ظروف مخصوصة" ليس هو أني أصف حال قيامي بالفعل، وأنا أتحدث على هذا النحو كما أني لا أريد أن أثبت كوني قائما بذلك الفعل: بل إن النطق بالجملة هو إنجازها وإنشاؤها. ثم إن ما ذكرته من العبارات المتلفظ بها، لا يدل شيء منه على التصديق ولا على التكذيب. بل إنني أوجب الحكم على هذا الشيء لبدايته ووضوحه، ولا فائدة هنا في إيراد الحجة عليه، إذ ليست بنا حاجة للتدليل على هذا الحكم، كما أننا لسنا بحاجة لنبرهن على أن مثل هذه العبارة: "ملعون" لا تفيد الصدق أو الكذب، وقد يحدث أن يكون التلفظ بالجملة "مُستخدما في الإخبار". ولكن هذا أمر مختلف. إذن فأن تُسعى الباخرة هو أن تنطق في "الظروف والمناسبات" بالألفاظ: أُسَيَّ وغيرها...وعندما أقول في الكنيسة أو عندما يكتبون العقد: "نعم، أقبل الزواج بها" فأنا في هذا الموضع لا أذيع خبرا ولا أنشره، بل أنا أنغمس فيه.» (Austin, 1962, p. 06)

ولما صار الكلام أفعالا طقوسية وسلوكية محكومة بقواعد تخاطبية مقامية وسياقية، فقد تحدد معه دور اللغة في التواصل، ثم صارت اللغة مجال القصدية الذي تظهر فيه أغراض المتكلمين الذين يستعملونها وفق سياقاتهم التداولية. لذا عمل هذا الفيلسوف على ربط الفعل الكلامي بأغراض المتكلمين ومقاصدهم جاعلا إنجاز هذا الفعل مرتبطا بوجود مقصد لدى صاحبه يريده أن يتحقق، ولكي يكون المنطوق منطوقا أدائيا ناجحا لابد أن يتم النطق به في ظروف ملائمة— كما أشار إلى ذلك أوستين آنفا—إلا أن هذه المنطوقات لا تؤدي وظيفتها بشكل صحيح في كل الحالات؛ إذ قد يخفق المنطوق في أداء هذه الوظيفة بطريقة أو بأخرى، ومن ثم يكون المنطوق غير ملائم وقد أطلق أوستين على الطرق التي تجعل عمل المنطوق غير ملائم اسم "المخالفات"، وقدم القواعد التي إذا تم تجاوزها تجلت المخالفات، وظهر المنطوق بصورة غير ملائمة على نحو يكشف عن إخفاقه في أداء الهدف الصحيح الذي وضع من أجله. (إسماعيل عبد الحق، 1993، صفحة 142).

وما يمكن قوله فيما يتعلق برأي أوستين التحليلي اللغوي هو رفضه لرأي فلاسفة المنطق الوضعي الذي نعتة بالمغالطة الوصفية، مفرقا بين الجمل التقريرية والجمل الإنشائية، كما وضع شروطا لنجاح وتحقيق العبارات، فلم تعد قيمة الملفوظات في مدى صدقها أو كذبها بل بالقبول أو عدمه، كما أقر بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز فعل لغوي واحد على الأقل، أي أن هناك فعلا على الأقل منجزا متزامنا مع الملفوظ المستعمل في العملية التواصلية، ومن ثم قسم أوستين

أفعال اللغة إلى ثلاثة أنواع هي: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، وقد ميّز بين نوعين من الجمل هي: الجمل التقريرية والجمل الإنشائية، حيث فرّق بين ما هو تقريرى وما هو إنشائيّ فحدّد الأولى بأنها تنقل حقائق الكون كما هي في الواقع، يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، بينما الثانية لا تصف الكون، بل تنجز أفعالا والحكم عليها ليس مُتَعَدِّراً، ولكن ليس بالصدق أو الكذب إنما بمعيار التوفيق أو الإخفاق. وتمتاز بأنها تُسندُ إلى ضمير المتكلم في زمن ((الحال)) التلفظ، كما أنها تتضمن أفعالا مثل: أمر، وعد، أقسم، عمّد، (روبول وموشلار، 2003، صفحة 31). واجمالاً فإن أوستن يبني الفهم الفلسفي على التحليل اللغوي، تحليل «لغة الحياة اليومية» Ordinary Language، وينطلق من أن متابعة تطور الكلمة هو المدخل إلى حلّ ما علق بالفكر من تعقيدات إذ يلجأ إلى المعاجم وإلى جميع حالات استخدام الكلمة، ليقف على معانيها ويكشف عما اكتسبته عبر تاريخ هذا الاستخدام. ويرى أن المكان الطبيعي للمعنى هو ما يُعبر عنه في اللغة اليومية، وعلى المرء أن يبحث عنه حيث هو. أما الغموض في اللغة الفلسفية، وما ينتج عنه من مشكلات، فناجم عن الخلط بين المعنى الحقيقي للكلمة والأيدولوجية القابعة وراءها، فالأيدولوجية هي التي توهمنا بأن العالم مُكوّن من أشياء تقوم اللغة بوصفها فقط من منطلق ذاتي. أما أوستن فيرى أن مهمة الفلسفة تنحصر في تنقية لغة الحياة اليومية من نشاز الأيدولوجيات، فتعود الفلسفة إلى منبعها الحقيقي الذي هو لغة الحياة اليومية. ونشير إلى هنا إلى أن أفكار أوستن على قدر كبير من التعقيد والتشابك؛ فهناك الفلسفة واللسانيات وعلم النفس وحتى القانون والتشريع في كلّ واحد متداخل وهذا ما ولّد صعوبة بالغة في الإلمام بالفكرة.

2-4- ستراوسن والقول بسلامة اللغة العادية:

أما إذا تكلمنا على ستراوسن فيلسوف المنطق والمعرفة واللغة، فنجد في مقاله المنشور عام 1950 والمعنون بـ: "عن الإسناد on Referring" يعترض على راسل ومنهجه المنطقي والمعرفي كلّهُ، ويرى ستراوسن أن نظرية راسل عن الصفات المحدودة والتوصيف التعريفي القاطع ليست سوى تشويه للاستخدام الطبيعي للغة الذي هو تعبير صحيح وسويّ متبنياً في الوقت نفسه فكرة الحس السليم، أو تلك المعرفة المباشرة التي يجنمها البشر من خلال خبراتهم المباشرة واحتكاكهم المباشر مع الطبيعة والأشياء ومع بعضهم حيث يحدث الاستنتاج المنطقي البسيط (kumer sen & rekha verma, 1995, pp. 1-3) (سامي، 2001، صفحة 487).

وأما رأي ستراوسن فيما يتعلق بماهية التحليل وممارسة الفلاسفة له بوجه عام والوضعيين المنطقيين بوجه خاص فقد قدّمه في مقاله: "البناء والتحليل" المنشور عام 1956: إذ يرى اشتراك كل من مور وراسل وفيجنشتاين والوضعيين المنطقيين في القول بالتحليل مع اختلافهم في ضبط ماهيته يقول ستراوسن: «وربما قد لاحظتم أنه رغم اختلافاتهم فإن الذريين والوضعيين والبروفسور مور كلهم يشتركون في شيء ما. وإن كان ذلك مجرد كلمة تذكر بَتَقْبُلٍ. والكلمة هي

(التحليل). وبالتأكيد لم يكن لديه مفهوم واحد بالضبط للتحليل. وفي كتابه ((رسالة منطقية فلسفية)) لم يعط فتجنشتاين إشارة تدل على أنه اعتقد أن التحليل إلى العناصر النهائية يمكن أن يتم فعلا. كما لم يعط إشارة واضحة على الإطلاق تُبين تصوره لماهية العناصر النهائية. بينما كان الوضعيون من جهة أخرى أقل غموضا. فقد عرّفوا العناصر النهائية بوضوح على أنها (مضامين حسية). كما اعتقدوا أنه من الممكن، على الأقل وضع مبادئ التحليل وإن يكن من غير الممكن تثبيت التفاصيل دائما. وتَقَبَّلَ الذريون والوضعيون على حد سواء اللغة الهيكلية للمنطق الرياضي الجديد على أنها تعطي البناء الصوري للعبارات النهائية وما قبل النهائية. ويقف البروفسور مور بعيدا نوعاً ما عن أعضاء هاتين المجموعتين، إذ أنه لم يكن مضطرا مثلهم إلى قبول العناصر النهائية، كما لم يكن مربوطا بقوة إلى صور وأشكال المنطق الرياضي. ولم يكن مرتبطا بمعرفة مسبقة للمخطط الذي سيظهر كما كانوا هم مرتبطين. فلم يكن التحليل بالنسبة له وسيلة لمجمل الميتافيزيقا وإنما كان منهجاً لتوضيح تدريجي. لم يكن التحليل بالنسبة له برنامجاً وإنما ممارسة.» (بيتر فريدريك، 2004، صفحة 97).

بعد أن أشار إلى اختلاف التحليليين حول ماهية التحليل وحول نتائجه النهائية، تساءل ستراوسن عن ماهية المحلل؛ هل هي الجمل الإخبارية؟ أم معاني تلك الجمل؟ مبينا صعوبة إلمام رجل التحليل بمختلف دلالات الجملة؛ النحوية، اللغوية، النفسية، فيقول: «ولكن ما الذي عناه بالضبط أولئك الذين نادوا بالتحليل الفلسفي أو مارسوه بهذا التعبير؟ ما الذي ادعوا أنهم كانوا يحللونه بالذات؟ هل كان مثلاً، جُملاً من النوع الذي يشير أو يؤكد؟ أم هل كان معاني هذه الجمل التي أطلق عليها البعض تسمية غير ملائمة هي القضايا؟ أم هل كان الأفكار أو الاعتقادات التي عبرت عنها الجمل؟ أم العبارات التي استعملت لتقولها؟ ليس من المهم جداً أن نقول الآن أي هذه الأمور هو الأمر الذي عنوه. ولكن قد يؤدي كل من هذه الأجوبة، بطريقته الخاصة، إلى سوء الفهم. فعلى سبيل المثال إن تحليل الجمل يحتاج إلى شخص نحوي ليقوم به، وتحليل الأفكار والاعتقادات يحتاج إلى نفساني وتحليل العبارات ربما يحتاج رجل الشرطة أو المحامي. وربما كان من الأفضل أن نقول، كما قال مور دائما، إن موضوعات التحليل هي القضايا.» (بيتر فريدريك، 2004، صفحة 98).

بل إن ستراوسن يرى عدم نجاح التحليل حتى مع رائدي التحليل؛ وهما فتجنشتاين وراسل متبنيا سلامة اللغة العادية وصلاحتها، وأن المغالاة في التبسيط يفقد الجملة معناها الأصلي، إذ يقول: «ورغم أن فتجنشتاين كان يقوم في كمبريدج بشيء مختلف تماماً فإن منهج التحليل بصورة عامة كان يسيطر على الفلسفة الإنجليزية في الثلاثينات. وقد جلب معه بعض التقدم في بعض الحقول، ولكن النتائج كانت بصورة عامة، مخيبة للأمال. وقد بدا أن جمل الكلام العادي تقاوم التحديدات المبسطة التي هيأتها لها النظرية. وحتى الصقل الذكي الذي قام به راسل حول بناء

الجملة العادية ضمن حدود قواعد المنطق الصوري الحديث صار يبدو غريباً بعض الشيء في نهاية الأمر. وهؤلاء الذين ذهبوا للعمل مع عدد أقل من الافتراضات المسبقة حول النتائج وجدوا أنهم إن احتفظوا بالمعنى الأصلي فإنهم لم يحصلوا على تبسيط، وإن حصلوا على تبسيط فإن ثمن ذلك إنما يكون فقدان المعنى» (بيتر فريدريك، 2004، صفحة 98).

ويكرر ستراوسن تبنيه للغة العادية، مبيناً أن التحليل قد يتحول من وسيلة توضيح إلى وسيلة غموض بتوليده لجملة مهمة، فيقول: «أما فيما يخص فشل المنهج الأصلي للتحليل كما يطبق على جملة الكلام العادي فإن الخطأ هنا لم يكن في الكلام العادي وإنما في الفهم الغارق في التشدد والمفرط في تضيق التحليل، إذ لماذا يفترض أن الوسيلة الوحيدة للحصول على فهم الكلمات التي تعبر عن المفاهيم المحيرة فلسفياً، هي ترجمة الجملة التي ظهرت فيها إلى جملة لا تظهر فيها؟ إن الإيمان بأن هذا هو الأسلوب الوحيد وهو الكفاء، هو بالذات الوسيلة المثيرة للمشكلات التي تميزت بها النظريات التي لم تعد صالحة. وهذا فهم متشدد للتحليل لأنه يفترض وجود علاقات دقيقة شبه تعريفية بين أصناف المفاهيم، الأمر الذي لا يوجد في الواقع، وهو كذلك ضيق جداً لأنه يهمل تماماً نواحي كثيرة جداً من عمل اللغة التي من المهم جداً ملاحظتها ووصفها بدقة إذا أردنا حل مشكلاتنا الفلسفية.» (بيتر فريدريك، 2004، صفحة 99)

ويقول كذلك: «وهكذا فإنه بالنسبة لبرنامج التحليل القديم المحدود والمثقل بالنظريات علينا أن نضع غاية بديلة مختلفة: غاية محاولة فهم المفاهيم المحيرة فلسفياً، عن طريق الملاحظة الدقيقة والمنتمة للوسائل التي تستعمل فيها هذه التعبيرات اللغوية المرتبطة فعلياً في الخطاب. وبالطبع فإن كل نواحي استعمال التعبيرات لن تكون مهمة بالنسبة لمهمة الفيلسوف. ومقدرته الخاصة تظهر في إدراكه للمهم منها ومدى أهميته.» (بيتر فريدريك، 2004، صفحة 100).

4-3- سيرل وفكرة القصيدة:

أما آخر فيلسوف سنتكلم عنه هو جون سيرل ، وتُعد فلسفة هذا الأخير—في بعض أجزائها—امتداداً لفلسفة أوستين المتعلقة بنظرية أفعال الكلام التي أشرنا إليها في البداية . ويشير سيرل إلى انتمائه لتيار الفلسفة التحليلية المهمة بالتحليل المنطقي لقضايا الفلسفة متبنياً في الوقت نفسه التركيب كمنهج لتوضيح الأفكار وتقديمها مُبَسَّطَةً، يقول سيرل : « وأود التأكيد على كلمة تركيب وتركيب لأنني تعلمت – وغالباً ما يعتقد أنني أنتهي – على مجموعة من الفلاسفة يعتقدون أنهم يقومون بشيء يسمونه الفلسفة التحليلية . يتناول الفلاسفة التحليليون القضايا الفلسفية منفردة ويحلونها إلى عناصرها المكونة، وهم يقومون بما يسعى التحليل المنطقي . ينطوي هذا

الكتاب على كثير من التحليل المنطقي، لكنه أيضا كتاب جمعت فيه الأشياء معا. ويصح القول بأنه تركيب يقوم به محلّل». (جون، 2006، صفحة 20).

تبنّى سيرل في تقسيمه للأفعال في كتابه: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي آراء أوستين؛ فبعد توضيحه لحدوث عملية النطق ((التلفظ)) كظاهرة فيزيائية يُقسّم الأفعال الكلامية إلى نوعين هما: الأفعال التمريرية والأفعال التأثيرية، غير رابط لحصول المعنى بالصدق أو الكذب في الأفعال، مركزا في الوقت نفسه على كيفية عمل اللغة، وكذا الانتقال من الفعل التمريري إلى الفعل التأثيري، يقول سيرل: «حينما أنفث واحدة من تلك النفثات السمعية في موقف كلامي اعتيادي، فيمكن القول أنني أؤدي فعلا كلاميا. وتقع الأفعال الكلامية في عدة أنواع، وبواسطة هذه النفثات السمعية؛ أصدر حكما، أو أسأل سؤالا، أو أصدر أمرا، أو أطلب طلبا، أو أفسر مشكلة علمية، أو أتنبأ بحدث في المستقبل، وقد وُسِّمت جميع هذه الأفعال الكلامية وبعض الأمثلة المشابهة لها من لدن الفيلسوف البريطاني أوستين باسم الأفعال التمريرية، والفعل التمريري هو أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي الإنساني، وحينما نتكلم أو نكتب لبعضنا فإننا نُؤدي أفعالا تمريرية ونحتاج أن نميز الأفعال التمريرية، التي هي الغاية الخاصة من تحليلنا عن الآثار التي يمكن أن تسفر عنها الأفعال التمريرية في المستمعين. فمثلا؛ من خلال أمرك بأن تفعل شيئا، أدفعك إلى أن تقوم به ومن خلال المجادلة معك قد أتمكن من حثك، وحين أصدر حكما، قد أقنعك، ومن خلال رواية قصة قد أذهلك. في هذه الأمثلة يتعرض الأول من كل زوج من الأفعال لذكر فعل تمريري أو أفعال تمريرية، وتذكر العبارة الفعلية الثانية أثر ذلك الفعل التمريري على المستمع كالحث أو الإقناع أو توقع أن يقوم شخص ما بشيء ما، وقد وصف أوستين هذه الأفعال بأنها ذات علاقة بنتائج إضافية تتخطى الاتصال اللغوي بوصفها أفعالا تأثيرية» (جون، 2006، الصفحات 201-202)

لقد واصل سيرل مشروع أستاذه مُدققا ومعدلا ومُقترحا مواطن بحث جديدة، لم يكن أوستين قد عمّق البحث فيها بحكم حداثة ما كان ينجز. فكان كتابه أفعال الكلام (Les acts de language) استمرارا لما كان يبحث عنه أوستين في منح النظرية تفريعات دقيقة تصبح من خلالها قادرة على استكشاف طرق إنجاز الأفعال انطلاقا من التصنيف الثلاثي الذي تبناه أوستين ووسّع مجالاته وضبط تقلباته، لتصبح قابلة أن تشمل في كليتها أنواع الكلام بغض النظر عن طبيعته تحققه. ولعل أكثر الإضافات أهمية لدى سيرل سعيه إلى التمييز بين الأفعال المتضمنة في القول والأفعال التأثيرية، إذ مدار أفعال الكلام قائمة على ذلك التمييز. ورأى سيرل أن الأفعال التمريرية يجب أن تُؤدّى قصديا، لأنه إذا لم تقصد أن تعطي وعدا، أو تصدر حكما، إذا فأنت لم تطلق وعدا أو حكما، غير أن الأفعال التأثيرية لا يجب أن تُؤدّى قصديا بالضرورة، فقد تقنع شخصا بشيء ما أو تدفعه إلى فعل شيء أو تزعجه، أو تحيره دون أن تقصد

ذلك. على الرغم من أن العمليتين مرتبطتان فالأولى عادة ما تقود إلى الثانية. بيد إن سيرل لم يكتف بذلك التمييز على أهميته، بل عمد إلى تتبع طبيعة بناء الملفوظ المقترن بما سماه الفعل المتضمن في الكلام محددًا الشروط التي تضمن إنجاز الفعل، إذ إلى جانب القصدية، يراعى الفعل من حيث محتواه ونمطه. ومن ثم يصبح الإنجاز مقرونا بطوابع دلالية وأخرى شكلية. (مصطفى، صفحة 42).

إن ما يمكن ملاحظته بصورة جلية هو تركيز سيرل - كأوستين - على تَحَوُّل القول إلى فعل ثم التفصيل في أنواع الفعل وتجلياته، دون الاهتمام كثيرًا بتحليل الألفاظ قصد تبيان إن كان لها معنى أو ليس لها معنى كما كان يفعل الوضعيون المنطقيون. ويربط سيرل فهم المعنى بالقصد، لا بالتحقق التجريبي، يقول سيرل: «يكمن المفتاح لفهم المعنى فيما يأتي: المعنى هو شكل قصدية مشتقة والقصدية الأصيلة أو الداخلية في فكر المتكلم تتحول إلى كلمات وجمل وعلامات ورموز.. إلخ. إذا ما أُخِسنَ النطق بهذه الكلمات والجمل والعلامات والرموز، بحيث أنها تكون ذات معنى، فإنها تنطوي على قصدية مشتقة من أفكار المتكلم. فهي لا تنطوي على مجرد معنى لغوي تقليدي فحسب، بل على معنى يقصده المتكلم أيضًا. ويمكن للمتكلم أن يستعمل القصدية التقليدية للكلمات والجمل في اللغة لتأدية فعل كلامي، وحين يؤدي المتكلم فعلًا كلاميًا فإنه يفرض قصديته على هذه الرموز.» (جون، 2006، الصفحات 207-208).

إنَّ المعيار في تصنيف أفعال الكلام - بحسب سيرل - هو هدف فعل التلفظ ((فعل القصد)) ذلك أنه طبقاً لنظرية أفعال الكلام فإنَّ قصد المتكلم يعدّ عنصراً محورياً في إنجاز الفعل اللساني وعليه لا يمكن تصنيف أفعال الكلام بحسب صدقها وكذبها، أي جهة مطابقتها، كما كان يفعل الوضعيون المنطقيون

5- خاتمة:

وما يمكن قوله هنا أن الوضعيين المنطقيين قد أغفلوا شيئاً على قدر كبير من الأهمية وهو الجانب النفسي في اللغة، فاللغة معهم اتسمت بنوع من الجمود وأخضعت لثنائية الصدق والكذب، وهذا الأمر لم يكن محل موافقة من فلاسفة أكسفورد، فدخل علم النفس بصورة جلية في دراسة اللغة وتحليلها، ومنحت اللغة طابعها الإنساني العملي العلمي، لا العلمي فقط، فظهرت معهم فكرة إنجازية الفعل دون مراعاة الصدق أو الكذب، فليس بالضرورة أن كل ما أقوله محكوم بقيمة منطقية لأن الإنسان كائن قصدي يتفاعل ويتواصل مع غيره بلغة بسيطة واضحة المعنى والهدف، وما الغموض إلا بسبب كثرة التأويلات. لقد مثلت آراء فلاسفة أكسفورد نزعة واضحة

لإدخال علم النفس في موضوع بدأ فلسفيا وهذا ما ينبئ بانفتاح المجال واسعا أمام دراسات أكثر تفرعا وعمقا.

قائمة المراجع

أولا المراجع باللغة العربية

1. أخذوش الحسين. (أكتوبر، 2016). نظرية أفعال اللغة عند الفيلسوف أوستين، أسسها وحدودها الفلسفية. مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية.
2. الحاج الحسن وداد. (بلا تاريخ). رودولف كارناب، نهاية الوضعية المنطقية.
3. الكوثر منذر. (بلا تاريخ). فلسفة التحليل و البحث عن المعنى، الوضعية المنطقية عند آيار.
4. أن روبول، و جاك موشلار. (2003). التداولية اليوم، علم جديد في التواصل. (سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، و لطيف زيتوني، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر.
5. جلولي العيد. (2011). نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثير. عدد خاص بأشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب. ورقة: جامعة قاصدي مرباح.
6. خشبة سامي. (2001). مفكرون من عصرنا (المجلد الطبعة الأولى). القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
7. زيتوني الشريف. (بلا تاريخ). مشروعية الميتافيزيقيا من الناحية المنطقية، تصدير أ.د محمد اليعقوبي. بن عكنون، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية.
8. ستراوسن بيتر فريدريك. (2004). <<البناء والتحليل>> في : ثورة البحث عن المعنى ، مقالات في فلسفة القرن العشرين. (ألفرد جولس آير، المحرر، فاتنة حمدي، و منذر الكوثر، المترجمون) لندن: دار الحكمة.
9. سيرل جون. (2006). العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي (المجلد الطبعة الأولى). (سعيد الغانمي، المترجمون) الجزائر العاصمة: منشورات الاختلاف.
10. صالح فرج سالم. (2008). طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية: مجلس الثقافة العام، دار الكتب الوطنية.
11. صلاح إسماعيل. (2012). فلسفة اللغة. القاهرة: دار المعارف.
12. صلاح إسماعيل عبد الحق. (1993). التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد. بيروت، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر.

13. لالاند أندريه. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية (المجلدات A-G، المادة Analyse). بيروت-باريس: منشورات عويدات.
14. منصورى مصطفى. (بلا تاريخ). نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخيلي بين سيرل وجينان. مجلة الأثر، العدد الخاص بأشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدس بلعباس.
15. ياسين خليل. (1971). منطق المعرفة العلمية. ليبيا: منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب.

ثانيا المراجع باللغة الأجنبية

16. Austin, J. (1962). How to do things with words. Oxford University Press.
17. Baghramian, M. (s.d.). Modern philosophy of language .
18. Boraquin, N., Dugué, J., Ribes, F., Baudart, A., Laffitte, J., & Wilfert, J. (2005). Dictionnaire de Philosophie (Vol. Troisième édition). Paris: Armand Colin.
19. Chapman, S. (2008). Language and empiricism , after the Vienna circle. arts and Humanities research council.
20. kumer sen, P., & rekha verma, R. (1995). The philosophy of P.F. Strawson. New Delhi: Indian council of philosophical recherc.